شاعرية كعب بن زُهَير

بقلم فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

الديوان

ليس من شعر كعب ، في كتب الادب المتداولة ، ما يتناسب وشهرته الواسعة . فاذا استثنينا « بانت سعاد » لم نجد له الا المقطّعات القصيرة او الابيات المفردة . ولعلّ هذا ما اثّر في المعاصرين من مؤرخي الادب فلم يهتم احدٌ منهم بشعر كعب ، في ما خلا « البردة »، وكأنهم لم يعلموا ان له ديواناً خاصاً . بيد ان ابن عبد البرّ النمري نقل ان كعباً « كثير الشعر »[1] . وذكر له حاجي خلفا[2] ديواناً اشار البغدادي[3] الى ان ابا العباس الاخول شرحه . اما هذا الديوان فلم يُنشر بعد ، على ما نعلم ، بل اننا لا نعرف له الا نسخة وحيدة في اوربة كان المستشرق كرنكو (Krenkow) قد اهتمّ بدرسها وباعدادها للطبع سنة ١٩١٠[4] . ثم حالت موانع دون تنفيذ مشروعه على ما يظهر . ولكننا لم نعدم معرفة ما في الديوان ، وان لم نتمكن من درسه . فان المستشرق رينه باسيه اطلع عليه ، بفضل امين مكتبة الجمعية الشرقية الالمانية ، فدرسه واستعان به في تدوين حياة كعب ، ناشراً الشواهد بالفرنسوية ، لا بالعربية لئلا يسبق نشرة كرنكو التي كانت على وشك الطبع . فظهر من بحث باسيه ان في الديوان ثلاثين قطعة لكعب ، بين قصيدة ومقطوعة ، تدور كلها حول المواضيع العربية التقليدية من فخر وتهديد ، ومدح وهجاء ، وغزل ورثاء ، واشارات الى الحوادث البدوية المعتادة . وقد شرحها ثعلب ، بعد ان شرح

---

١) ابن عبد البرّ النمري : كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، حيدر اباد ، ١٣١٨هـ ، ١ : ٢٢٦

٢) حاجي خلفا : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (طبعة Flügel) ليبسيك ١٨٣٥ – لندن ١٨٦٣ ، المجلد ٣ : ٣٠٢–٣٠٤ ، الرقم ٥٦٢٣

٣) عبد القادر البغدادي : خزانة الادب ، بولاق ، ٤ : ١٤٨

٤) René Basset, *La Bânat Soʿâd*, Alger, 1910, p. 6

ديوان زهير في المخطوطة نفسها . وكان بأسبه في استخدامه ابيات الديوان يترجمها الى الفرنسوية ، ويشير الى ورود بعض ابياتها في كتب الادب والتاريخ واللغة . فاستعنا بها في درس شاعريته ، مع الاستناد خاصة الى « بانت سُعاد » ، وهذه اشهر قصائده بل اساس شهرته ، كما لا يخفى .

بانت سعاد

تقسيمها

قصيدة لامية من البحر البسيط ذات ٥٨ بيتاً ، انشدها كعب في مدح النبي والاعتذار اليه . وقد سار فيها على الطريقة الجاهلية القديمة كما يظهر من التقسيم :

١ً – بدأ بالنزل فذكر سُعاد ووصفها ، واشار الى اخلافها بالوعد (الابيات ١ – ١٢)
٢ً – تخلّص الى وصف الناقة (١٣ – ٢٤)
٣ً – تخلّص الى ذكر النبي ووصف حالته هو من الاضطراب (٢٤ – ٢٨)
٤ً – اعتذر الى النبي ومدحه (٢٨ – ٥١)
٥ً – تخلّص الى مدح المهاجرين من قُريش (٥١ – ٥٨)

شهرتها : شروحها ومعارضاتها

لا نغالي اذا قلنا ان ليس من قصيدة عربية نالت ما نالته قصيدة كعب من اهتمام النحويين واللغويين والمستشرقين ايضاً . ولا غرابة في ذلك ، والمادح من ذوي التأثير في عصره ، والممدوح نبي الاسلام ، والقصيدة قيلت في زمن كان فيه النبي بحاجة ماسة الى اقتداء شاعر معروف الى الاسلام وانخراطه في سلك الشعراء المدافعين عنه وكم كان يهتم بزيادة عددهم في تلك الحرب الهجائية . وما هو ان دوّنها مؤرخو النبي حتى اصبحت جزءاً من « سيرة » الرسول . ولم تلبث ان نالت حظاً من الكرامات والفضائل ايضاً ، على نحو ما روى ابو جعفر البيري الاندلسي عن بعض اساتذته عن سلسلة من رجال السند عن احد العلماء انه كان يبدأ محاضراته دائماً بانشاد « بانت سُعاد » . فقيل له في ذلك ، فقال : انه رأى النبي في ما يرى النائم فقال له : « اني أُحب قصيدة كعب وأُحب من يُحبها » فحلف

الشيخ ان لا يمر عليه يوم الا انشد القصيدة[1] . واذا فليس بعجيب ان يتبارى الشرّاح في التعليق عليها ، ويتنافس الشراء والنظّام في معارضتها ، وتشطيرها ، وتخميسها ، حتى جاوزت آثارهم الخمسين .

اما المعارضات فمن اشهرها قصيدة البوصيري صاحب « البردة » ، واسمها « ذخر المعاد في معارضة بانت سُعاد » ومطلعها :

الى متى انت باللذات مشغولُ وانت عن كل ما قدّمت مسؤول

واما التشطيرات والتخميسات فعديدة لا يسعنا المقام لذكرها[2] .

واما الشروح فاقدمها شرح ثعلب (†٩٠٥) مع شرح سائر الديوان ، كما قدمنا ، وهو الذي استند اليه باسّيه ، استنادَه ايضاً الى شرح ابن يَلَبَخْت († ١٢١١) . يُذكر بعد ذلك شرح ابن دريد (†٩٣٣) . ثم شرح التبريزي الشهير (†١١٠٩) ، شارح المعلّقات وحماسة ابي تمام ، وقد نشره المستشرق كرنكو كما سيأتي . ومن الشروح المعروفة شرح جمال الدين ابي محمد عبدالله بن هشام (†١٣٦٠) وهو مطبوع مرّات ، وشرح ابراهيم الباجوري († ١٨٦٠) المطبوع مرّات ايضاً ، الى غير ذلك من الشروح التي يطول بنا تعدادها .

طباعتها – ترجماتها

لبانت سُعاد نحو العشرين طبعة في الشرق والغرب ، منها على حدة ، ومنها في مجاميع ادبية . وقد يطول بنا الكلام اذا تعرّضنا لذكرها كلها ، فنكتفي باهمها . كان المستشرقون السابقين الى طبعها فنشرها اولاً ليدن سنة ١٧٤٨ في مدينة ليدن ، مع ترجمة باللاتينية ، ومقدّمة ، وشرح[3] . ومما يُذكر من الطبعات الاوربية طبعة فريتاگ في هال سنة ١٨٢٣ ، مع ترجمة لاتينية ومقدمة وشرح[4] . ثم طبعة

---

١) المقّري : (الطبعة الفرنسوية ١ : ٩٣٣) ذكرها Basset, *op. cit.* p. 66

٢) ليراجع اشهرها من اراد في René Basset, *op. cit.*, p. 67-69

٣) Gerardus Joannes Lette, *Caabi ben Zobair Carmen panegyricum in laudem Mubammedis.* Lugduni Batavorum, 1748.

وقد طبع معها معلّقة امرئ القيس وبعض المنتخبات العكبية .

٤) G. W. Freytag, *Caabi ben-Sobair Carmen in laudem Mubammedis dictum.* Halae, 1823. – ومعها قصيدة المتنبي في ابن العميد وابيات لاشجع السلمي

گويدي مع شرح ابن هشام في ليبسيك سنة ١٨٧١[١]. وطبعة نولدكه في برلين سنة ١٨٩٠ مع بعض الحواشي[٢]. ثم طبعة رو مع ترجمة فرنسوية، ومنتخبات من شرح الباجوري في قسطينة وباريس سنة ١٩٠٤[٣]. وطبعة كرنكو مع شرح التبريزي وتعاليق بالالمانية في ليبسيك سنة ١٩١١[٤]. ولعل اجمع هذه الطبعات طبعة ريته باسيه المتقدم ذكرها والتي نشرها في الجزائر سنة ١٩١٠ وجمع فيها بين شرح ثعلب وشرح ابن يَلَبَخت، ذاكرًا جميع الروايات المختلفة، مقدمًا عليها بحثًا في حياة الشاعر، وترجمة فرنسوية للقصيدة[٥]. وآخر طبعة اوربية للقصيدة طبعة الدكتور سكوبا - پيكوسلاوسكي مع ترجمتها الى اللغة البولونية، وبعض التعاليق في اختلاف الروايات، في بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣١[٦].

اما الطبعات الشرقية فاقدمها طبعة الشرواني، في كلكتا سنة ١٢٣١ ه. (١٨١٦). ومما يستحق ذكرًا من سائر الطبعات طبعة بولاق مع شرح ابن هشام سنة ١٢٩٠ ه. (١٨٧٣). وطبعات القاهرة مع شرح ابن هشام وشرح الباجوري على الهامش سنة ١٣٠٤ ه. (١٨٨٧) وما بعدها. وطبعة ذي الفقار علي

١ I. Guidi, *Gemâleddin Ibn Hišâmi commentarius in carmen Ka'bi ben Zobair Bânat Su'âd appellatum*. Lipsiae, 1871.

٢ Noeldeke, *Delectus veterum carminum arabicorum*. Berlin, 1890. في المجموعة

٣ A. Raux, *Bânat Su'âd, poème arabe de Ka'b ben Zobair, publié avec les voyelles, le commentaire d'el-Bâdjoûri, un avant-propos et une traduction en Français*. Paris, 1904.

٤ Fritz Krenkow, *Tabrizi's Kommentar zur Burda des Ka'b ibn Zuhair*. [Z. D. M. G., Leipzig, 1911, p. 241-280]

٥ René Basset, *La Bânat Su'âd, poème de Ka'b ben Zobaïr. Publiée avec une Biographie du Poète, une Traduction, deux Commentaires inédits et des Notes*. Alger, 1910.

٦ Dr med. Leon Skuba-Pękosławski, *Kasyda (Oda) Ka'b'a syna Zubajra i Swiety płaszcz Mahometa (Khirka-i-Szerif)*, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1931.

دوبندي مع شرح الباجوري وابن هشام ، وترجمة هندستانية وحواش ، في دهلي سنة ١٩٠٠ . وطبعة القاضي محمد ظهور الدين مع ترجمة نثرية بالهندستاني وترجمة شعرية بالپنجابي ، في لاهور سنة ١٩٠٣ . الى غير ذلك من الطبعات العديدة في بيروت والقاهرة ، وبومباي ، وجونپور ، وحيدر اباد وغيرها .

وقد نُشرت «بانت سُعاد» في جمهرة اشعار العرب لابي زيد القُرشي ، وهو يعدّها من « المشوبات » (طبعة عمون) مصر ، ١٣٠٨هـ . ص ١٤٨ — ١٥١

ولها ترجمات الى لغات عديدة تقدّم لنا ذكر شيء منها مع الطبعات . وعدا ذلك فان لها ترجمتين المانيّتين احداهما نثرية لويل في ترجمة سيرة محمد لابن هشام[1] ، والثانية شعرية لروكرت[2] ؛ وترجمة انكليزية لردهوس في مجموعة كلوستون[3] ؛ وترجمة ايطالية لگبريالي[4] ؛ وترجمات فارسية منها واحدة للكاملي منشورة مع شرح لمبد الحافظ محمد نظير في لكنئو سنة ١٨٧٥ ؛ وترجمة تركية لملجق زاده في احدى مكاتب قسطينة[5] .

قيمته

كان لكعب من اسرته تراثٌ شعري ثمين ، وكان له من ابيه مثقف بعيد حكيم ، وكان له من احوال بيئته ومنافسات احزاب زمانه دوافع متتابعة للتمرين المستمر . فسح الشعر ، ورواه ، وتذوّقه ، ونظمه في مختلف الفنون ، فاشتهر به حتى قال خلف الاحمر : «لولا ابيات لزهير اكبرها الناس لقلت ان كعباً اشعر منه .»[6]

(١) Weil, *Das Leben Mohammeds*, Stuttgart. 1864. t. II. p. 254-257

(٢) Rückert, *Hamasa*, Stuttgart, 1846, t. I, p. 152-157

(٣) J. W. Redhouse, *The « Burdu », the Poem of the Mantle... Translated, with preface and notes*, [Clouston. *Arabian Poetry for English readers*, Glasgow, 1881, p. 305-318]

(٤) G. Gabrieli, *Al-Burdatân ovvero i due Poemi arabi del Mantello in lode di Maometto*, Firenze, 1901.

(٥) R. Basset, *op. cit.*, p. 82 اطلب

(٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (طبعة de Goeje) ص ٥٨

ولكن لا نؤخذنّ بهوس خلف ، وقد عوّدنا مثل هذه الاحكام الجازمة ، ولندرس عن كثب شاعرية كعب ، وحظها من الابتكار ، وتأثير كل من عناصرها ، فنرى ان الواقع يدفعنا الى شيء من التحفظ والاحتياط تجاه هذا الحكم .

لو استثنينا بعض المواد التي استخدمها الشاعر في الاعتذار الى النبي ، لما وجدنا في اللاميـة شيئاً من الطرافة يستحق الذكر . فالاستهلال بالغزل اسلوب مطروق في العصر الجاهلي ، « والسعادات » كثيرات ، « وبينهنّ » معروف متداول بين الشعراء من النابغة الذبياني[1] ، الى الاعشى الاكبر[2] ، الى ربيعة بن مقروم[3] ، الى غيرهم ممن سبق كعباً وعاصره[4] . والتشكي من الفراق ، فذكر الاخلاف بالمواعيد ، فالتخلص الى وصف الناقة متداول كذلك حتى الابتذال .

على ان مدح النبي نفسه لا يخلو من التقليد . فان الشاعر ، بعد ان يتخلّص الى ذكر محمد على اسلوب لا بأس بطبيعته واخلاصه اذ يصوّر موقفه المضطرب من الوشاة ، وتمنع اصحابه عن اجارته ، يعود الى التأثر بغيره فيبدأ اعتذاره على اسلوب النابغة في اعتذاره الى النعمان . ولا يكاد يصل الى المدح فيذكر هيبة النبي ، حتى يترك الممدوح ، ويندفع متوسّماً في شجاعة الأسد الذي شبّهه به ، وقوّة بطشه ، وشدّة وطأته في واديه . . . الى ان يختم بمدح المهاجرين مدحاً اعتيادياً لا يتعدّى ذكر الشجاعـة والاقدام . واكثر هذا من المواد الشعرية الجاهزة ، اذا صحّ التعبير . حتى ان النبي نفسه لم يبدِ اهتماماً بالقسم الاكبر من القصيدة ، فاحتمل صامتاً خمسين بيتاً اكثرهـا لا يمسّ الموضوع في شيء ، الى ان بلغ الشاعر مدح « الرسول وعصبته » ، فنظر النبي الى من عنده من قريش « كأنـه يومئ اليهم ان يسمعوا » كما يقول ابن قتيبة[5] . كأن كل ما تقدم لم يكن ليستحق السماع ! أوَ ليس من الغريب ان

١) ديوانـه (مجموعة ابن الورد) ص ٣٥ ، وما يشبهه من « نأي سُعاد » ص ١٧٦ ؛ والسيوطي : شرح شواهد المغني ، مصر ١٣٢٢ هـ . (١٩٠٦) ص ١٨٠

٢) الاغاني ١٦ : ١٩ ؛ والسيوطي : الكتاب المذكور ، ص ١٨٠

٣) السيوطي : ك . م . ص ١٨٠

٤) وقد عملت شهرة لامية كعب على زيادة القصائد المتدئة « ببانت سُعاد » حتى ان عادا الرواية انشد الوليد سبعمائة منها ، على ما جاء في الاغاني (٥ : ١٧٣)

٥) ابن قتيبة : ك . م . ٦٨

يؤلف شاعر ككعب ، في حالته تلك من اليأس والاضطراب ، قصيدة في مدح شخص كالنبي مغير في حياته وعماته ، فيخص ثلثيها بوصف محبوبته ، وناقته ، والتخلص الى الممدوح ، حتى اذا وصل اليه ، لم يتجاوز في مدحه ذكر الهيبة ، والشجاعة ، والهدى ، ثم انتقل يمدح قوم محمد من المهاجرين . فيكون ما نال النبي من الثمانية والخمسين بيتاً ثلاثة عشر فقط منها خمسة في الاسد ، بينما نرى سُعاد تختص باستهلال يبلغ اثني عشر بيتاً ، والناقة تتمتع بوصف دقيق يتجاوز العشرين .

كل هذا لان الشاعر سار على الاسلوب المدحي المقرر في الجاهلية ، فلم يكلف نفسه على الغالب عناء الابتكار والتفنن — الا في امور اخذها من محيطه القريب فاتت لطيفة جميلة كوصف قلقه واضطرابه[1] — نقول ذلك لا في الافكار العامة فحسب ، بل في ما تفرّع عنها وفي ما اخذ به لشرحها من الافكار الثانوية والصور التشبيهية . فهو لا يتراجع ، امام النبي ، عن استعمال الخمر في تشبيهه ، ولا يُهمل ان يذكر القول في كثرة الثارين ، وان ينسب الدروع لداود ، وان يشبّه الابطال « بالجمال الزُهر » ، والنبي « بالاسد الخادر » . ويكاد لا يتجاوز ، في وصف الناقة ، ما نعرفه من اكتناز اللحم وملاسته حتى ليزلق عنه القراد ، وقوة المرفقين وبعدهما عن الزور ، وصلابة القوائم . اما تلك الصورة الاخيرة ، التي يشبّه فيها ذراعي الناقة ، في سرعة حركتها ، بذراعي امرأة ثاكل تضرب صدرها وتندب ، فان المطلع يخالف طريقة ، على غرابتها ، لاول وهلة ، حتى اذا طالع الشعر المعاصر ضعفت طرافتها نوعاً . وكذلك القول عما يظهر من السذاجة البدوية الطبيعية في استعماله الفيل للتهويل والتعظيم .

ونكاد نرى الرأي نفسه في غير اللامية مما امكننا الاطلاع عليه من شعر كعب . فان مدحه للانصار[2] تقليدي محض بارزٌ فيه التكلف . ورثاؤه لأبي[3] « من اجفى شعر العرب » ، على قول المبرّد واكثر ما تبقّى جامد العاطفة ، صلب ، حتى ليمكننا القول ان اضعف العناصر الشعرية في كعب كان الشعور . فلا غزل رقيق ،

---

١) اطلب الروائع ٣٢ [كعب] ٨—١٠
٢) الروائع ٣٢ [كعب] ١٤
٣) الروائع ٣٢ [كعب] ١٨

ولا رثاء فاجع ، ولا تهكم لاذع ، ولا فخر عاطفي ، ولا شكوى اسيفة ، ولا رهبة مؤلمة في التعبير عن قلقه واضطرابه تجاه وعيد النبي ، وهو اخلص قسم في قصيدته . يتحقق ذلك من يقابل قوله هذا باقوال النابغة في موقفه الاعتذاري من النعمان . فبينما يُظهر النابغة كل ما يمدّه به شعوره الرقيق من بوادر الحزن العميق المقرون بالقلق المضطرب الى الاخلاص الشديد[1] نرى كعباً يكاد لا يفسح لشعوره المجال حتى يختم عليه بالحكمة ، فيسكن الى ان « كل ما قدّر الرحمن مفعولُ . »

ولا يضير حكمنا هذا بضعف الشعور ما يتناقل الرواة عن ميل كعب الشديد الى الشعر منذ نعومة اظفاره . اذ لا غرابة في هذا الميل ، والغلام يرى نفسه في اسرة شاعرة . فكان من الطبيعي ان يتأثر بتلك البيئة ، وان يميل الى النظم ، كما يميل ابن الجرّاح الى التشريح وابن المصوّر الى تنسيق الخطوط مثلاً ، دون ان يفرض ذلك في الناظم الحدث شعوراً قوياً ، او عبقرية بارزة .

على ان من الحقّ ان نحتاط بعض الشيء في هذا الحكم ، منتبهين لمواقف قليلة كان يتأثر بها كعب تأثراً عميقاً فيتألم او يتحمس ، فينظم فوراً ، دون ان يجتهد في « صنع » الشعر ، فيأتي قوله على شيء من الفطرة اوفى منه في شعره العادي . نتحقق ذلك في بعض المنافسات الحزبية ثم في ابيات كان يشكو بها دهره او شيبه . بيد انه ، حتى في هذه الموضوعات الخطيرة بالعاطفة ، تظلّ على شعره مسحة من التعقل والرزانة قيل به الى نوع الحكم .

اما شعره ، في اكثره ، تصوير ، وتصوير دقيق يسمو الى درجة عالية من الصناعة بل من الفنّ احياناً . ولا عجب ! فبين زهير وتلميذه ، واحد افراد ذاك المذهب التصويري المادي الذي بدأ بأوس بن حجر ، زوج ام زهير ، وبلغ اوجه مع زهير والنابغة ، وكان من ممثليه شاعرنا كعب والحطيئة كما قدّمنا . وليس من حاجة بهذا المذهب الى كثير من الشعور الرقيق السيال ؛ وان كان الشعور يمدّه رونقاً وتشخيصاً وحياةً تزيد في قيمته . انما حاجته خاصة الى الصبر في تتبع الموصوفات ، واختيار مواد التشبيهات ، والى التعقل في التنسيق والتأليف ، « وتنخّل » التعابير ، « وتثقيف » القوافي ؛ والى قوّة الخيال ايضاً . وقد كان كعب على حظ من

---

١) اطلب درسنا للنابغة في الروائع ٣٠ : ١٥٤

الخيال لا بأس به ، وان لم يصل غالباً الى الابداع . وكان كذلك على قسط وافر من التمثل والصبر في « صنع » الشعر حتى انه فاخر « بتنخله » للقواني « وتثقيفه » اياها[1] كما انه فاخر باقتفائه اثر ابيه في قصائده ، اذ

(يقول) شبيهات بما قال ، عالماً بنّ ، ومن يشبه اباه فما ظلم !

والحق يُقال انه سار على هذا الاسلوب مستفيداً من ابيه ، ومن أوس ، ومن النابغة ، فترك لنا اوصافاً دقيقة جداً على كثير من التفنن في تقصي صفات المشبه به بعد ترك المشبه ، كوصف الماء في اول « مَشوبته » ، وكثرة التدقيق في وصف الناقة ، ووصف الخمر في تلك الجملة الاعتراضية الجميلة[2] ، وتتبع وصف المرأة الشكلي بعيد ذلك ، وتلك الاستدارة التشبيهية التامة في وصف الاسد . يعبر عنها بتعابير « متنخلة » ، والفاظ تصويرية منتقاة ، قد يرى فيها البعض شيئاً من الضخامة الجاهلية ، فينسبون الشاعر الى الولع بالغريب في وصف الناقة والاسد وما اشبه ، ويرون انه يأخذ باللفظ الرقيق اللين اذا ما ترك هذه الموضوعات وعرض للتعبير عن الشعائر النفسية . والحقيقة ان ليس للشاعر اسلوبان محددان يأخذ باحدهما في التعبير عن شيء وبالآخر في التعبير عن غيره . انما هو يجري على طريقة واحدة من المفردات والتعابير . الا انه يعبر حيناً عن موضوعات تمس بيئته الخارجية من رمال متراكمة وتكاوين ارضية لكل مشهد منها نعت خاص ، ومن حيوان متنوع لكل مظهر من مظاهره بل لكل عضو من اعضائه اسم بعينه ، ومن مرافق حيوية خاصة بعصره وعادات مميزة لشعبه ؛ وحيناً يعبر عن عواطفه النفسية المشتركة بين جميع الناس . فيكون ان المظاهر الاولى تتباين وتختلف باختلاف الازمنة والامكنة حتى لا نألف في عصرنا شيئاً من مألوفات الجاهليين مثلاً ، وتظل المظاهر الثانية على ما هي ، اذ ان مصدرها النفس البشرية وهي واحدة تحت كل كوكب . وبالتالي تصبح التعبيرات عن الموضوعات الخارجية غريبة بالنسبة الينا بل وحشية ضخمة ، وتبقى الاخرى لطيفة رقيقة مقبولة . هذا ، على ما نرى ، هو سر الاختلاف بين الاسلوبين المزعومين . واذاً فليس من حاجة الى « التعمق في الدرس » ، فالاستنتاج ان

١) الروائع ٣٢ [كعب] ٢٤

٢) الروائع ٣٢ [كعب] الايات ٢٨-٣١

كعباً كان في وصفه للناقة والاسد يحتـذي اوس بن حجر ، وفي تعبيره عن شعائر نفسه يسير على اسلوب ابيه ... والحق انه سار على اسلوب ابيه ، وهو في الاصل اسلوب أوس .

وان يكن من اثر واضح لاسلوب زهير ، في ما خلا تلك الاوصاف التي اشرنا اليها ، فهو في الميل الدائم الى الحِكَم والاعتبارات العامة . ولا يحتاج المطالع الى كثير من التدقيق ليتحقق رغبة كعب في الكلام الجامع ، وارسال المثل ، حتى لا تخلو له مقطوعة من محاولة ذلك . فمن « إنَّ الاماني والاحلامَ تضليلُ » ، الى « فكل ما قدّر الرحمن مفعول » ، الى « كلّ ابن انثى ... » الى « وأقربُ باحلام النساء الى الردى » ، حكم تامة تذكرنا بزهير ، « ومن يُشبه اباه فما ظلم ! »[1] .

وقد تتخذ الحكمة شكل النصيحة كما في « ردّه على احد الجُهّال » .[2] وهذا غير غريب عن زهير ايضاً . وقد يرفعه النفس الشعري ، على طريق الحِكَم ، الى درجة سامية من التحقّق المؤلم فيلقي نظرةً بصيرةً شاملة يصل فيها الى فحص اعماق النفس البشرية فيقيس اتعابها ومشاقها بالنسبة الى القدَر واحكامه ، ويعود ، وعلى شفتيه ابتسامة تتنازعها الشفقة والهزء ، فيقول :

لو كنت اعجب من شيء لاعجبني ... سعيُ الفتى ، وهو مخبوءٌ له القدرُ ؛
يسعى الفتى لامورٍ ليس يُدركها ؛ ... والنفسُ واحدةٌ ، والهمّ منتشر ؛
والمرء ، ما عاش ، ممدودٌ له املٌ : ... لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الاثرُ[3] .

هذا كعب بن زهير ، على قدر ما امكننا درسه من خلال شعره المنثور ، وهذا قليل بالنسبة الى ما تبقى في ديوانه المخطوط . وهو يظهر ، على الجملة ، شاعر صناعة وثقافة ، لا شاعر طبع وفطرة . وقد يكون ابن سلام على صواب اذ جعله في الطبقة الثانية[4] . ولكنه قدّمه على الحطيئة ، وحقّه ان يؤخر في نظرنا . ومهما يكن من امر فان الشاعرين من المذهب الزهيري المعروف ، مذهب « عبيد الشعر » ، على قول الاصمعي ، اي مذهب الذين « نقّحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . »[5]

---

١) الروائع ٣٢ [كعب] ٢ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٢
٢) الروائع ٣٢ [كعب] ٢٥ ٣) الروائع ٣٢ [كعب] ٢٥
٤) محمد بن سلام : طبقات الشعراء (طبعة Hell) ، ص ١٩ — ٢١
٥) ابن قتيبة : ك . م . ٦١